النهار

معاناة أهالي المفقودين: وجع لا يزال يحفر في القلوب

منال شعيا

13نيسان ٢٠١٨

"لائحة المفقودين في كل لبنان". هي أهم من كل اللوائح الانتخابية في الدوائر الـ١٥. وقد تكون اللائحة الوحيدة الممثِّلة لهواجس جميع اللبنانيين ومخاوفهم... والأهم لمعاناتهم .

اليوم، وربما للمرة الألف، ستجتمع رئيسة "لجنة اهالي المخطوفين والمفقودين" وداد حلواني وحشد من الاهالي والمحبين والاوفياء للقضية في مكانهم المعتاد في "حديقة جبران خليل جبران – الاسكوا"، للتذكير بذاك الوجع الذي لا يزال يحفر عميقاً في النفوس والقلوب.

في الذكرى الـ٤٣ للحرب اللبنانية، لا تزال المعاناة هي نفسها. لا تقدّم ولا حل جدياً ملموساً من جانب المسؤولين. رحل رئيس جمعية "سوليد" غازي عاد. وقبله، رحلت اوديت سالم، وهي تنتظر ولديها. المسؤولون عندنا لا يتوانون عن اطلاق الوعود الفارغة... بلا اي معالجة ملموسة وعملية.

اندلعت الحرب في سوريا، ولا خبر عن المعتقلين هناك. أما المفقودون على مساحة الاراضي اللبنانية، فلا ضوء حقيقياً يكشف مصيرهم، على مرّ كل تلك الاعوام الثقيلة.

اليوم، زمن انتخابات. زمن وعود، فيما اهالي المخطوفين والمعتقلين غارقون منذ زمن في وحول الوعود والتعهدات. فلا "الهيئة الوطنية المستقلة لكشف مصير المفقودين" أُنشئت، ولا العيّنات البيولوجية من الاهالي جُمعت تمهيداً لاجراء فحص الحمض النووي. لا تزال حلواني وصونيا عيد وفاطمة العبد الله ينتظرن، مثل كثيرات من الامهات والشقيقات والزوجات.

قبل عام تحديدا، في نيسان ٢٠١٧، اطلقت لجنة الاهالي عريضة وطنية تطالب "باقرار الحل العلمي والمعقول لقضية المخطوفين، والذي يرتكز على جمع العينات البيولوجية من اهالي المفقودين والمخفيين قسرا وحفظها تمهيدا لاجراء الفحص الجيني DNA كخطوة تنفيذية للتمكن من التعرف الى هويات المفقودين او الى الرفات إذا وجد، وكذلك اقرار قانون بانشاء هيئة وطنية مستقلة تتمتع بالصلاحيات اللازمة للبحث عن مصادر المفقودين وكشفها لأهاليهم."

آليتان محددتان، لكن حتى اللحظة لا تقدّم. اليوم، ستعلن حلواني حصيلة تلك العريضة التي قارب عدد التواقيع عليها الـ٥ آلاف، من دون تواقيع الاهالي المعنيين. تلك الحصيلة التي سلمتها حلواني قبل ايام الى رئيس الجمهورية ميشال عون، وسُجلت ايضا في قلم الامانة العامة لمجلسي الوزراء والنواب، ستعلن خلال تحرك اليوم.

هاتان الآليتان واضحتان بدل التنظير والاكتفاء بالدعم اللفظي لأهالي المفقودين. حتى الساعة، لا يمكن اعطاء رقم دقيق رسمي للمخطوفين والمفقودين. على مراحل، تعدّدت الارقام. وبقي الرقم المتداول للمفقودين ١٧ الفاً، في حين ان ٦٥٠ ضحية إخفاء قسري لا تزال في السجون السورية. انما اي معطى يمكن ان ننطلق منه اذا بقيت اطر الحل العملي غائبة، وضمائر المسؤولين نائمة حيال هذه المعاناة؟

تقول حلواني لـ"النهار": "شبعنا كلاماً. الحمد لله "الخطّيفة" كانوا في كل لبنان. اقلّه هناك مساواة في تلك القضية، والكل معني بها، فليباشروا المعالجة، لان اطر الحل باتت معروفة ومحددة. لا نريد فقط الافصاح عن الدعم. نحن تخطينا تلك المرحلة منذ زمن. يكفي."

لجان عدة تشكّلت ولا جديد قُدّم في هذا الملف. المعتقلون في سوريا: لا حديث عنهم. المقابر الجماعية في لبنان: خطر ممنوع الاقتراب منه. فأي مبادرة يعدون بها الاهالي؟

جديد تحرك اهالي المخطوفين والمفقودين انهم سيطلقون خلال تحركهم اليوم حملة "لائحة المفقودين في كل لبنان". تشرح حلواني: "هناك ٧٧ لائحة انتخابية سُجلت رسميا في كل الدوائر الانتخابية، وفي كل هذه الدوائر هناك مخطوفون ومفقودون. لقد تساووا على مجمل الارض اللبنانية. اذاً، فليتحمل الجميع مسؤولياتهم، لاننا سنتخذ موقفا واضحا وعلنيا من هذه اللوائح: من معنا ومن ضدنا."

في الاشهر القليلة الماضية، وجهت اللجنة الى كل لائحة من اللوائح الـ٧٧ دعوة الى حضور تحرك اليوم. الكل معني. الكل مدعو الى التزام هذه القضية فعلا لا قولا. مَن لن يحضر سيكون قد اعطى موقفا متحفظا او معارضا، ومَن يحضر ولا يوقّع، يكون كمن خالف الفعل بالقول. ومن جانب اهالي المخطوفين، المعادلة ستكون واضحة ايضا. "لا انتخاب لمن لا يوقع معنا على مطلبَي العريضة الوطنية. ان موقفنا سيكون واضحا من اللوائح الـ٧٧ جمعاء". هذا ما تقوله حلواني. "نحن ايضا كتلة ناخبة ولنا رأينا، والاهم لنا قضيتنا ولن نساوم فيها ابدا، ولن نفرط بها مقابل اي صوت انتخابي."

تخبر حلواني بأسف كيف ان بعض الاهالي يتلقون اتصالات هاتفية قبيل الانتخابات لتجيير الاصوات. تعلّق: "من المعيب ما يحصل. نحن لسنا للمتاجرة، فليعلن الجميع موقفه بوضوح. الكل مدعو الى ان يكون معنا اليوم، وعلى اللبنانيين ان يدركوا من معنا ومن لا يريد انهاء معاناتنا."

لقد بُحّ صوت حلواني لشدة الصراخ والكلام، ولم تصمت. لقد "شاخ" صوت الامهات لشدة الوهن والتعب، ولم يغب. فاعلموا ايها اللبنانيون لمن ستعطون اصواتكم تجاه قضية المخطوفين والمفقودين قسراً!